



مَجَلَّةُ الْجَامِعَةِ الْقَاسِمِيَّةِ

لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَائِهَا

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ



المجلد: 3، العدد: 2

جمادى الآخرة 1446 هـ / ديسمبر 2024 م

التقييم الدولي المعياري للدوريات: 2958-230X

تداولية الاستعارة بين جون سيرل وجيري مورغان

THE PRAGMATICS OF METAPHOR BETWEEN JOHN SEARL AND JERRY MORGAN¹

عايدة إبراهيم المعيني

الجامعة القاسمية، الإمارات العربية المتحدة

Aydah Ibrahim Al Maeeni

Al Qasimia University, UAE

الملخص:

ظلت الاستعارة مهوى الأبحاث اللغوية مد الزمان والمكان ولا تزال، وكانت التداولية آخر المتلقين لها بالنظر والتحليل، وتعدُّ الورقة التي قدمها جيري إل مورغان Jerry L.Morgan: "ملاحظات على تداولية الاستعارة" أحد أبرز المراجعات الجادة والمثيرة لنظرية جون سيرل John Searl في الاستعارة، وقد تناولتها هذه الدراسة عرضاً وتحليلاً، فعرضت أولاً لنظرية سيرل التي أقامها عبر نقد النظريتين الاستبدالية والتفاعلية، وتناولت بعد ذلك الورقة التي قدمها مورغان فعرضت عرضه لنظرية سيرل، ومنها إلى تحليل رأيه في النظرية: ما اتفق فيه مع سيرل وما اختلف، ثم الملاحظات والإشكالات التي أثارها حول النظرية. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج تتجلى فيها حسنات ما قدم سيرل في نظريته، كان أولها التمييز بين معنى الجملة ومعنى المتكلم، وأن كلا النظريتين الاستبدالية والتفاعلية كانتا قاصرتين في نظر سيرل ومورغان عن تقديم تحليل استعاري وافٍ، وأن الاستعارة لا تحمل تغييراً في المعنى بقدر ما تحمل تدشيناً لتغييرات دلالية وفق المنظور التداولي. ومن الملاحظات التي أخذها مورغان على نظرية سيرل أن أمثلته لم تكن داعمة لنظريته بشكل كافٍ كونها استعارات ميتة أو تعابير اصطلاحية، وأن تحليل سيرل ثلاثي الخطوات عجز

⁽¹⁾ Article received September 2024, article accepted: November 2024.

عن تحليل كثير من الأمثلة الاستعارية، وكذلك فإن مبادئ سيرل الثمانية أطول من أن يطبق عقل المستمع استعراضها أو حتى يعلم بما ليقوم عبرها بتحليل استعاري ناجح.

Abstract

The paper presented by Jerry L. Morgan: "Observation on the pragmatics of metaphor" is one of the most serious and enriching reviews of John Searle's theory of metaphor, and this study has dealt with the theory and analysis, first presented to Searle's theory, which he established through criticism of the substitutionary and interactive theories, and the study presented Morgan's paper which presented Searle's theory, and from there to the analysis of his opinion In theory: what he agreed with Searle and what he disagreed, then the observations and problems he raised about the theory. The study reached several results that reflect the advantages of what Searle presented in his theory, the first of which was to distinguish between the meaning of the sentence and the meaning of the speaker, and that both theories of substitution and interaction were deficient in of Searle's and Morgan's opinion to provide an adequate metaphorical analysis, and that metaphor does not carry a "change in meaning" as much as it carries the initiate semantics changes meanings according to the pragmatics view. One of the observations taken by Morgan on Searle's theory is that his examples were not sufficiently supportive of his theory as they are dead metaphors or idioms, and that Searle's three-step analysis failed to analyze many metaphorical examples, as well as Searle's eight principles are too long for the listener's mind to be reviewed or even aware of to make a successful metaphorical analysis.

الكلمات الدالة: التداولية، الاستعارة، نظرية سيرل في الاستعارة، جيرى مورغان

Keywords: Pragmatics, Metaphor, Searle's theory of metaphor, Jerry Morgan

مقدمة

شغلت مسألة تنقل الحقيقة والمجاز في التداول اللغوي للكلام البشري اهتمام القدماء من فلاسفة ونقاد ولغويين ومفكرين؛ لأنها تتعلق باختيار التعبير اللغوي الحامل لرسالة المرسل عندما يحدد ذلك المرسل أن هذه الرسالة قادرة على التعبير عنه وإيصال أفكاره إلى المتلقي؛ وهذا يعني أن الكلام ليس تداولاً لغوياً بقدر ما هو تداول معرفي متعدد الأهداف والمستويات .

وقد كانت الاستعارة في نقل الحقيقة إلى المجاز سؤالاً في المعرفة والتنظير والإجراء والتحليل؛ ولهذا نظرت إليها الأمم والشعوب من زوايا مختلفة، يجمع بينها البحث في عالم ما وراء الكلمة، وما خلف التعبير، وقد كان لبعض الأمم سبق التميز في تحليلها كاليونانيين والأوروبيين والمسلمين؛ لأنَّ بعض علماء الغرب انتقل في بحث الاستعارة إلى ذروة من ذرى البحث اللساني الحديث، ومن هؤلاء جون سيرل John Searl وجيري مورغان Jerry Morgan.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء رؤية محللة للاستعارة لدى اثنين من أبرز الدارسين المحدثين، وهما جون سيرل وجيري مورغان بالنظر إلى الثاني على أنه ناقد بلاغي لرؤية الأول، وبالنظر إلى الاثنين على أنَّهما قدما ما يشبه المحاور في الاستعارة حقيقة وإجراء وتنظيراً .

وقصدنا من السعي إلى تحقيق هذا الاستشراف للاستعارة بين سيرل ومورغان أن نقدم للقارئ العربي مثقفاً ومتخصصاً ولغوياً وأديباً رؤية من رؤى الآخر عن الاستعارة، يمكن أن يفيد منها في تجديد الرؤية الموروثة للاستعارة في البلاغة العربية، أو في إقامة حوار علمي يحاور الآخر بطرح الأنا، على أن تكون الخطوة الثانية في غير هذه الدراسة هي طرح ذلك

الحوار على طاولة الدراسة العلمية للاستعارة بين العرب والغرب بصفتها دراسة متداولة في اللغات البشرية تبرز أبعدها ما يكون في اللغات العريقة كالعربية والإنجليزية وغيرهما. كما يهدف البحث إلى الوقوف على نظرية سيرل للاستعارة انطلاقاً من رؤية نقدية وتغذية راجعة لأحد اللسانيين المتمين للمدرسة التداولية، على افتراض أن المجال التداولي هو المجال الأنسب للاستعارة، وهو الأقرب إلى الممارسة النقدية العربية في كتب النقد والأدب القديمين، بل هي آخر ما تلوح به اللسانيات النقدية والأدبية بعد محاولات لنظريات كثيرة قطعت وصل النص بما هو خارج اللغة .

تأخذ هذه الدراسة نفسها بمواصفات المنهج التحليلي بعد العرض والتوضيح ضمن حدود الموضوعية العلمية في الطرح الهادئ للاستعارة بين سيرل ومورغان مع توظيف شيء قليل من تاريخية القول في المسألة، من غير إهمال صفة النسبية في الطرح؛ لأن اللغة بتشكلاتها المختلفة تبدو عصية على إحاطتها بقيود المطلق من القول.

فرضية الدراسة

تري الدراسة أن الاستعارة عند سيرل أقرب ما تكون إلى عملية التداول القائمة على التفاعل بين المرسل والمتلقي ضمن ثقافة مشتركة تجمع بينهما في سياق لغوي طبيعي، فيه مرونة في رسم الأبعاد وتحديد الصفات التكميلية للتداول باللغة عندما تكون بعض عباراتها مجازات.

وتفترض أن ما قدمه سيرل في تحليل الاستعارة حرياً بأن يُدرس بجوانبه المختلفة، تنظيراً وإجراءً وتحليلاً، ويوضع محط التناول والتجريب على التعابير الاستعارية متباعدة الأنواع؛ للوقوف على حسنات ما قدم وتصحيح مسار ما انحرف أو الإشارة إليه والتنبيه له.

أهمية الدراسة وإشكالياتها

في عبارة لسانية عالمية من نحو "جون ليس مثل الشجرة، إنه شجرة" تعبير دامج للحقيقة بالجاز على مستوى التشبيه ابتداءً والاستعارة انتهاءً، ولهذا ينبغي عند تحليله الإفادة من المكونات الخارجية لعملية الكلام؛ لأنّ التعبيرات بمكوناتها اللغوية وحدها لا

تبنى فهماً متكاملًا، وعليه يمكن أن تكون عبارة من نحو "آه..لقد اتسخت" تركيبًا حقيقيًا بمعناه القريب، أو تركيبًا استعاريًا في سياق مونولوجي تعبيرًا عن الندم على ارتكاب جنائية، أو في سياق السخرية من محاور بذيء اللسان، أو ما شابه؛ لهذا تسعى هذه الدراسة إلى تأكيد أن الاستعارة اللغوية لا يُعلم كنهها إلا بتحليل ما يتجاوز الدلالة اللغوية المباشرة منها، ما يجعل النص أو الكلام حَمَل أوجه كما قال علماء العربية .

وتقديم هذه الرؤية الإشكالية من وجهة نظر اثنين من أهم علماء الاستعارة يحدد فتح نوافذ قراءة النص في العربية بالسماح بمرور هواء جديد إلى داخل النص يحدد فهم المتلقي له.

أسئلة الدراسة

نحجب عبر هذه الدراسة عن الآتي من الأسئلة:

- ما موقف سيرل من النظرية التي سبقت نظريته ؟
- ما النظرية التي قدمها سيرل لتحليل الاستعارة ؟
- فيم يتفق مورغان مع سيرل في النظرية ؟
- ما المؤاخذات التي أبداها مورغان على نظرية سيرل ؟

وستكون الإجابة عن أسئلة الدراسة محاورها الموضحة للأعمدة التي تنهض عليها في تقديم رؤية لسانية للاستعارة يتجاوزها قطبان كبيران في النظر إليها وتحليلها .

الاستعارة عند سيرل

أقام سيرل نظريته في الاستعارة عبر نقض التصورين الاستبدالي والتفاعلي للاستعارة، فقد فتح "النظرية الدلالية على ما هو خارج لساني، واستثمر الخلفية المعرفية وأعاد صياغة المعنى الحرفي"⁽¹⁾، وعلينا ابتداءً سرد ملخص عن كل تصور ثم الوقوف على جوانب الضعف والأشكال التي كشفها سيرل في التصورين محاولاً حل الإشكال بهما وإيجاد بديل أكثر شرعية في تفسير الاستعارة من تلك التي قدمتها النظريتان الاستبدالية والتفاعلية، وإن كان نقد التصور الاستبدالي قد هيمن على نظرية سيرل وحظيت الاستبدالية بالجزء الأكبر من النقد وكشف العوار، ومحاولين ضبط المصطلحات لمنع التشتت وحصر المفاهيم .

من أجل إعداد نظرية لتحليل الاستعارة يعود سيرل لتجريب النظريات القائمة وإظهار مثالها بادئاً بالنظرية الأشهر نظرية التشابه سالفه الذكر التي أسس لها أرسطو.

ونحاول هنا أن نجمل أسس تصور سيرل للاستعارة :

1. نقد التصور الاستبدالي

تقوم النظرية الاستبدالية في الاستعارة على فكرة الاستبدال أو النقل؛ إذ ترى أن للكلمة معنيين: حرفي ومعنى مجازي، وتتحقق الاستعارة عند استبدال معنى مجازي بمعنى حرفي، وهذا الاستبدال إنما يتعلق بكلمة معجمية واحدة بصرف النظر عن السياق الذي ترد فيه .

وقد سادت هذه الفكرة في الدراسات البلاغية والنقدية واللغوية في مختلف العصور والأمصار، وهي الفكرة التي قام عليها فهم أرسطو للاستعارة وللکیفیه التي تعمل بها

(1) الهلايلي، الحسن: الاستعارة عند جون سورل، أشغال الندوة العلمية: البلاغي بين الإنتاج والتلقي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، المغرب، 2019، م، 242 . "استرجعت بتاريخ 2024/3/22م" من موقع: <http://search.mandumah.com/Record/1148254> .

الاستعارة فعرفها بأنها: "نقل اسم شيء إلى شيء آخر ، والنقل يتم من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو بحسب التمثيل"⁽¹⁾.

تقوم الاستعارة في التصور الاستبدالي على التشابه، وهو ما صرح به أرسطو في أكثر من موضع في كتاب الخطابة؛ فهو يعدُّ التشبيه استعارة، فعندما يقال عن أحدهم أنه "وثب على العدو كأسد" فهو تشبيه، وعندما يقال عنه "وثب الأسد"، فإنها استعارة؛ لأن كلا منهما شجاع⁽²⁾، وفي كتاب فن الشعر يصف أرسطو الاستعارة بأنها: "آية المواهب الطبيعية؛ لأنَّ الإجابة في المجازات معناها الإجابة في إدراك الأشباه"⁽³⁾.

وعلى الرغم من الإسهامات التي أسهم بها النقاد والبلاغيون العرب في تطوير مبحث الاستعارة ولاسيما ما أضافه عبدالقاهر الجرجاني في قضية الادعاء⁽⁴⁾، و ظهور إشارات كثيرة للتصور التفاعلي في شروحهم وكتبهم، فإنَّ المحصلة الواضحة أنَّ البلاغة العربية قد اعتمدت فكرة النقل أخذًا عن أرسطو في تفسير الاستعارة.

نقد سيرل التصور الاستبدالي في تفسير الاستعارة، وشمل نقده كما أسلفنا الكشف عن جوانب الضعف في التصور الاستبدالي و نقده ونقضه، وعلى إثر ذلك النقض قدم سيرل محاولاته النظرية في تفسير الاستعارة، وشيّد مشروعه على أسس حدّدها وفصّل فيها معززا إياها بالكثير من الأمثلة، محاولا تقديم إجابات أكثر إقناعًا لكل تلك الإشكالات التي أثارها مطلع بحثه.

(1) أرسطوطاليس: (فن الشعر). ترجمة وتحقيق: عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953م، 58.

(2) Aristotle, The Art of Rhetoric, Translation and index by W. Rhys Roberts, Megaphone eBooks, 2008,182 www.wendelberger.com بتاريخ "استرجعت بتاريخ 2024/6/4 من موقع:

(3) أرسطوطاليس، فن الشعر، 64

(4) عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3: المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993م، 224-254

2. التمييز بين المعنى الحرفي ومعنى المتكلم

يبتدئ سيرل نظريته بالفصل الحاسم بين معنى الجملة الحرفي Literal Meaning ومعنى المتكلم أو معنى التلفظ Speaker's Meaning، وهو معنى خاص يريده المتكلم لكنه لا يتفوه به حرفياً، بل ويفهم السامع مراد المتكلم دون الحاجة إلى التفوه به حرفياً⁽¹⁾. يقرر سيرل أن هذا التمييز بين المعنيين هو القاعدة والمنطلق الذي افتقده التصور الاستبدالي فأوقعه فيما وقع فيه من إشكال ولغط في فهم عمل الاستعارة وتفسيرها . فعلى سبيل المثال فإنَّ احتمالات معنى جملة "الحرارة آخذة في الارتفاع هنا" هي الآتي⁽²⁾:

- المعنى الحرفي للجملة للإخبار بحرارة الغرفة.
 - فعل كلام غير مباشر لفتح النافذة.
 - تعبير ساخر عن برودة الجو.
 - تعبير استعاري عن الأقذاع المتزايدة في شجار يشدد.
- وعليه، فإنَّ دلالات الجملة الواحدة قد تأتي بكيفيات مختلفة كما يوضح سيرل، هي:
- تلفظات حرفية literal sentence أو تلفظات ساخرة Ironical utterance أو أفعال الكلام غير المباشرة Indirect Speech acts أو تلفظات استعارية Metaphorical Utterance . والثلاث الأخيرة يعوّل فيها على تلفظ المتكلم وليس التلفظ الحرفي بمعنى أن المتكلم فيها يعني أكثر مما يقوله أو شيئاً مختلفاً عما يقوله أو لا يكون ما يعنيه المتكلم متطابقاً مع ما تعنيه الجملة حرفياً . لذا كان على سيرل أن يسعى ليس لتمييز التلفظ الاستعاري عن التلفظ الحرفي فحسب، بل تمييزه أيضاً عن أشكال أخرى من التعبيرات التي تتجاوز exceeded المعنى الحرفي، المتضمنة في تلفظ المتكلم⁽³⁾.

(1) John Searl, Metaphor, Metaphor and Thought, edited by Andrew Ortony, 2nd ed, USA: Cambridge University Press, 1993, 84 .

(2) المرجع نفسه، 85-87

(3) المرجع نفسه، 85

3. الافتراضات الخلفية المشتركة

تعبر النظرية الاستبدالية عن الاستعارة بعدّها عملية استبدال كلمة بأخرى اعتماداً على علاقة المشابهة أو المناسبة بين الكلمتين في انعزال تام عن السياق، وهو ما رفضه سيرل ليقرر أن المعنى الحرفي للجملة غير منفك عن أي سياق، بل هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالافتراضات السياقية أو الخلفية A set of Assumptions and background contextual، وتلك الافتراضات ليست جزءاً من المحتوى الدلالي للجملة⁽¹⁾. فالجمل ليس لها معنى حقيقي تنتهي إليه، بل إن السياق إضافة إلى الخلفية المشتركة بين المتكلم والمستمع هو المفصل في ذلك.

4. الاستعارة والتشبيه

يقرُّ سيرل أن التشابه قد يكون له دور في إنتاج الاستعارة وفهمها، ولكن لا علاقة له بمعناها، فالتشابه دورٌ كبير في التحليل الاستعاري؛ إذ يمكن الإفادة من نظرية الاستبدال في مجموعة من الاستراتيجيات لإنتاج وفهم الملفوظات الاستعارية التي تستخدم التشابه⁽²⁾.

Third , what we should salvage from the simile theory is a set of strategies for producing and understanding metaphorical utterances, using similarity.

تفهم الاستعارة وفق نظرية التشابه على أنها نسخة مختزلة من التشبيه الحرفي وتعمل فيها الاستعارة وفق ذات المبادئ التي يعمل عليها التشبيه المباشر المزود بأدوات التشبيه (مثل، كاف التشبيه) مع إضافة مبدأ الحذف⁽³⁾.

(1) المرجع نفسه، 86

(2) المرجع نفسه، 101

(3) النعمان، طارق، الاستعارة صياغة مشكل، فصول، 77، 2010م، 153. "استرجعت بتاريخ

2024/3/22" من موقع : <http://search.mandumah.com/Record/473586>

وعليه فإن جل ما يحتاج إليه المستمع لفهم التشبيه هو ما يحتاج إليه لفهم الاستعارة، بمعنى أن لا حاجة لمعرفة فوق لغوية، حيث تتولى الكفاءة الدلالية للمتكلم والمستمع والخلفية المعرفية العامة بالعالم مهمة الإفهام في التحليل الاستعاري .

ويرى سيرل أن العبارات الاستعارية لا يمكن أن تكون مساوية في المعنى لعبارات التشبيه الحرفية؛ لعدم تطابق شروط الصدق عندهما. والأمر الآخر أنه حتى تكون نظرية الاستبدال نظرية لفهم الاستعارة، فإن التشبيهات الثانوية (المدعاة) في العبارات الاستعارية يجب أن تكون حرفية؛ لأنها لو كانت هي بذاتها استعارية أو مجازية، لأفحمنا ذلك في دائرة مفرغة Circle⁽¹⁾ .

والأمر الثالث هو الإلمام في تحديد قيم التشابه بين المعنى الحرفي والمعنى الاستعاري، ما يعني أن الاستعارة تكون مفتوحة النهاية فجولييت هي الشمس من نواح عدة يحددها كل مستمع وفق فهمه، فنظرية التشبيه لا يمكنها تحديد ر في س هي ب ونعني بها س هي ر، هي كما يدعي سيرل لازلت تقريبا لا تملك قوة تفسيرية⁽²⁾ .

يسعى سيرل لإيجاد طريقة لتحديد المعنى الاستعاري تحديداً صارماً لا شبهة فيه، ولا وجه فيه للاحتمال؛ إذ إنَّ الإجراءات الاستبدالية تستدعي إلى الذهن قائمة غير محددة من وجوه الشبه ووجوه الاختلاف، فكيف يمكن تحديد وجه واحد من وجوه الشبه تلك التي يقصدها المتكلم ويعنيها تحديداً دون غيرها من أوجه الشبه التي تجمع الملفوظ الحرفي بالمعنى الاستعاري.

خالد أسد (س) هي (ب)

خالد شجاع (س) هي (ر)

الملفوظ الاستعاري أو معنى المتكلم هو خالد شجاع (س هي ر)

خالد يشبه الأسد من جهة الشجاعة (س) يشبه (ب) من جهة (ر)

(1) Searl, Metaphor, 95

(2) المرجع نفسه، 96

لكن قيم (ر) المحتملة هي: الشجاعة/ القوة/ التعجهم/ السيادة/ الشراسة
ما الذي استدعى قيم (ر) إلى ذهن المستمع عند نطق المتكلم بـ "الأسد"؟ أو ما الذي
أثار هذه القيم دون غيرها مثل كونه حيواناً مفترساً، أصفر اللون، كثيف اللبد؟

5. مبادئ التحليل الاستعاري لسيرل

يبحث سيرل في المبادئ التي يسير عليها المستمع فيتهدي إلى المعنى الاستعاري،
ويحدد لذلك ثلاث خطوات يمكن عدها خطوات التحليل الاستعاري عند سيرل⁽¹⁾ :
أولاً: تحديد إن كان الملفوظ بحاجة إلى تأويل استعاري.

ثانياً: إذا قرر المتكلم حاجة الملفوظ إلى تأويل استعاري، فعليه حساب القيم الممكنة لـ ر
وفق مجموعة من المبادئ والاستراتيجيات.
ثالثاً: تحديد قيمة ر التي يرمي إليها المتكلم .

هذه المبادئ استشفها سيرل بالرجوع إلى عملية إنتاج الاستعارة وفهمها، وهي مرتبطة
بخصائص ر التي تثار عند النطق بـ (ب)، فإذا قلنا أن س هي ب، فيكون تأويلها أو
التلفظ الاستعاري أو تلفظ المتكلم هو (س هي ر) وذلك لأنَّ (ب) تستدعي (ر)، أو
(ب) أثارت (ر)، ولكن كيف يتم تحديد قيمة (ر) التي يريدها المتكلم ويفهمها المستمع
دون غيرها، ما الذي استدعى (ر) تحديداً عند النطق بـ (ب) عندما أسندت إلى (س)،
وهنا محاولة سيرل في وضع مبادئ تتحكم في عملية الاستدعاء أو إثارة الذهن، وهي
الآتية⁽²⁾ :

1. عندما لا تعرّف (ب) إلا بـ (ر) ، وتكون الاستعارة حيوية وفاعلة، فإن ر ستكون
غالباً من الخصائص المميّزة والمحدّدة والبارزة لـ (ب)، كقولنا محمد عملاق، ستعني:
محمد كبير الحجم؛ لأنَّ العملاقة بحكم تعريفهم أحجامهم كبيرة، هذا هو ما يميزهم
ويعرفون به دائماً .

(1) المرجع نفسه، 103

(2) Searl, Meataphore, 104-108

2. عندما تتعلق (ب) بـ (ر) بشكل عارض فإن الخصيصة ر ستكون إحدى الخصائص البارزة والمعروفة عن ب كذلك، كقولنا محمد أسد، فالأسد يوصف غالبًا بالشجاعة والقوة والسيادة.
- يلاحظ أنَّ كلا المبدئين ترتبط فيهما الاستعارات بالتشبيهات الحرفية، فقولنا: محمد عملاق تعني حرفيًا محمد مثل العملاق، وقولنا: محمد أسد تعني حرفيًا محمد مثل الأسد.
3. عندما تتعلق (ب) بـ (ر)، رغم أنَّ المتكلم والمستمع قد يدركان تمامًا أنَّ (ر) لا حقيقة لها في الواقع، لكنها تنبني على ما شاع في مجتمع ما والتي شكلت الخلفية الثقافية المشتركة بين المتكلم والمستمع حول الطرف الثاني، كقولهم: فلان غوريلا إشارة إلى اتصافه بالعنف والشر، في حين أن الحقيقة عن الغوريلا تؤكد عكس ذلك.
4. عندما لا تميَّز (ب) بـ (ر) ولا تتبعها في الخصائص ولا تتشابه معها في أو تتعلق بها في ذهن المتكلم والمستمع وثقافة المجتمع، فلا ترتبط (ب) بـ (ر) بأي علاقة تعريف أو تعلق أو تشابه؛ يكون الارتباط بين (ب) و (ر) متصورًا أو متخيلاً، كقولنا مريم لوح من الثلج، فاطمة قطعة من الحلوى، خالد مرُّ المذاق، الأيام تركض، الوقت يزحف.
- ويلاحظ سيرل أن مثل هذه الاستعارات تربط فيها درجات الحرارة بالعاطفة، ودرجات السرعة بالزمن.
5. عندما لا تتعلق (ب) بـ (ر) بتعريف أو تشابه ولا نجد لذلك أثرًا في ثقافة المتكلم والمستمع، لكنَّ حالتي (ب) و (ر) تتشابهان، كقولنا شفقة لشخص فقد عزيزًا أنه غدا مسكينًا أو فقيرًا.
6. الحالات التي تتماثل فيها (ب) و (ر) وتتشابهان في المعنى، كقولهم حكومة فاسدة كما يقال في الفاكهة أنها فاسدة.
7. وترتبط بالاستعارات العلائقية تكون فيها ر أفعالًا أو صفاتٍ مسندة إلى (س)، وتتحقق فيها الاستعارة ليس بالانتقال من (س هي ب) إلى (س هي ر) و إيجاد

العلاقة بين ب و ر كما في الاستعارات السابقة، بل عبر الانتقال من (س ب) تتعلق بـ (س) إلى (س ر) تتعلق بـ (س).

في مثال: السفينة تحرث البحر، ثمة جملتان اسميتان تحيطان بالتعبير الاستعاري (السفينة تحرث) هما: (السفينة تمخر البحر) و(المحراث يحرث الحقل)، وهنا علينا الانتقال من الأولى (س ب) إلى الثانية (س ر) وكلاهما تتعلقان بالتعدي كما في مثالنا أو بغيره في أمثلة أخرى بـ (س) لنصل إلى (السفينة تحرث) وعلى المستمع أن يوجد العلاقة بين التعبيرين الاسميّين الحرفيين والتعبير الاستعاري الناشئ، وهي أن ما تفعله السفينة في الحر شبيه بما يفعله المحراث في الحقل⁽¹⁾.

8. يتناول هذا المبدأ الاصطلاح البلاغي وإمكانية ضم المجاز المرسل والكناية ضمن الاستعارة في الأخذ بمبادئ سيرل في الانتقال من المعنى المتضمن في الجملة (س) هو (ب) إلى المعنى المتضمن في التعبير (س) هو (ر).

ويمكن أن نلخص مؤاخذات سيرل على النظرية الاستبدالية في الآتي:

1. لم تقدم النظرية أي طريقة لتحديد كيفية حساب القيم المشتركة بين الملفوظ الحرفي والمعنى الاستعاري؛ إذ إن مشكلة فهم التشبيهات الحرفية بالنظر إلى وجه الشبه الذي لم يحدد هو جزء من المشكلة في فهم الاستعارة ومعناها⁽²⁾.
2. كثير من التعبيرات استعارية لا تنوي فيها تشبيهات حرفية مثل: سالي لوح ثلج.
3. عندما تعقد المشابهة بين طرفين في الاستعارة؛ فقد لا يدل الطرف الثاني على شيء في الحقيقة مثل: زيد وحش.

6. نقد التصور التفاعلي

يقرر التصور التفاعلي أنَّ الاستعارة أوسع من أن تحصر في كلمة واحدة ليس على المتكلم إلا أن يقوم باستبدالها، بل إن تلك الكلمة هي بؤرة المجاز Focus

(1) المرجع نفسه، 100

(2) أبو العدوس، يوسف: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأهلية للنشر، الأردن، 1997م، 81.

Metaphorical وتننتج الاستعارة من التفاعل بينها وبين الكلمات المجاورة لها أو الإطار المحيط بها The Surrounding literal frame ، ليتأتى بعد ذلك المعنى الذي ينتجه السياق اللغوي تحديداً⁽¹⁾، فالملفوظ الاستعاري يؤول انطلاقاً من السياق المحيط به لا من دلالة الكلمات المفردة؛ فالكلمة لا تستمد معناها إلا من معاني الكلمات الأخرى المنطوقة التي تجاورها وغير المنطوقة أيضاً التي تربطها روابط مختلفة، عبر المقام الذي تستعمل فيه⁽²⁾. ترجى النظرية التفاعلية المعنى الاستعاري إلى التفاعل بين تعبير مستعمل استعارياً وبين تعابير أخرى مستعملة حرفياً، فهي تحاول أن تموقع المعنى الاستعاري في مجموعة من الترابطات التي تتم انطلاقاً من الجملة فحسب.

تخط النظرية التفاعلية وفق سيرل كما سابقتها-الاستبدالية- بين معنى الجملة ومعنى تلفظ المتكلم، إذن التصور التفاعلي لا زال يراوح في معنى الجملة لا معنى المتكلم وهو المجال الذي تنشأ فيه الاستعارة وفق سيرل . كما يفترق التصور التفاعلي عن تصور سيرل التداولي في سبيل تحليل الاستعارة، فسيرل يتبع تحليل الاستعارة ذي الخطوات الثلاث، في حين يعتمد التصور التفاعلي مفهوم بؤرة المجاز وإطاره .

وفي نقده لنظرية التفاعل الدلالي التي تفسر الاستعارة على أنها نتاج تفاعل بين عبارات استعارية وعبارات حرفية؛ يرى سيرل أنَّ ما يطعن في النظرية أنها تفترض أنَّ كل الاستخدامات الاستعارية للتعبيرات تقع في جمل تحوي استخدامات حرفية⁽³⁾ وهو ما ينفيه الواقع الاستعاري .

(1) Max Black, More about Metaphor, Metaphor and Thought, edited by Andrew Ortony, 2nd ed, Cambridge University Press, USA,1993,27 .

(2) الهلالي، الاستعارة عند جون سورل، 241 .

(3) Searl, metaphor, 90.

مورغان وتداولية الاستعارة عند سيرل: اتفاقات ومؤاحداث

يعدُّ الحديث عن تداولية الاستعارة مبكرًا بالنظر لفترة نشأة التداولية وتنامي البحوث حولها، وقد كان أحد تلك البحوث، بحث جيرى مورغان الذي يقف فيه على فهم سيرل للاستعارة وعلى نقاط الاتفاق والاختلاف معه، يقف على ثغرات تلك النظرية التي تفسر الاستعارة وكل ظواهر النظام اللغوي تفسيرًا تداوليًا أو ينظر إليها وينظر لها ضمن رؤية تداولية، تؤمن بأن النظام اللغوي لا ينفك عن محيطه سياقيًا ومقاميًا ولا يحاط بعلمه إلا حال استعماله، أي تداوليًا.

يطلق مورغان مصطلح التداولية على نظرية سيرل للاستعارة، في حين لم يصف سيرل نظريته بذلك .

1. اتفاقات مورغان مع سيرل

يذهب مورغان إلى صحة مجمل النظرية التي جاء بها سيرل في تفسير الاستعارة وتقديم التحليل الأمثل للحالات الاستعارية المتباينة، رؤاه التي شكلت نظريته في الاستعارة التي وسمها مورغان بالتداولية:

1. التمييز بين معنى الجملة ومعنى الكلام

يقرر مورغان أن التمييز الذي صنعه سيرل بين معنى الجملة الحرفي Literal Sentence Meaning ومعنى الجملة الذي يريده أو يقصده المتكلم (معنى تلفظ المتكلم Speaker's Utterance Meaning) هو تمييز جوهري، ليس فقط للاستعارة، ولكن لدراسة المعنى بشكل عام، وقد تعثرت أبحاث اللغويين في المعنى بإغفال هذا التمييز على الدوام، ويعد مورغان الإقرار بأهمية التمييز هو سببًا حقيقيًا⁽¹⁾ .

2. الاستعارة والانحراف الدلالي

(1) Morgan, Observation On The Pragmatics Of Metaphor, Metaphor And Thought, 2nd ed, Cambridge University Press, USA,1993, 124 .

يجادل سيرل بأن الاستعارة هي مسألة معنى الكلام؛ لذلك فهي مسألة تداولية لا دلالية، وحمل الاستعارة محملاً دلالياً هو ما قام به ماثيوز Matthews على خطى أرسطو، وقد انتقد سيرل هذا المنظور ووافق مورغان، ترى أنَّ الاستعارة تنطوي على "انتهاك قيود الاختيار" Violation Of Restrictions Selection، ما يجعل الاستعارة نوعاً من الانحراف الدلالي Semantic Deviance، هذا النهج يمكن أن يعدّ طريقة للكشف عن الاستعارات، لكنه لا يفسر قدرة مستخدم اللغة على فهم الجمل المنحرفة كما افترض ذلك⁽¹⁾.

يعترض مورغان على ماثيوز في رؤيته في أمرين اثنين :

4. عدم تقديم تفسير لآلية عمل الاستعارة، كيف ينتجها المتكلم وكيف يفهمها المستمع.

5. أن تعدّ الاستعارة أصلاً انحرافاً أو خرقاً عن النمط اللغوي الاعتيادي.

ويشارك مورغان في توجهه عدد من اللغويين رفضوا المنظور الذي يعرضه ماثيوز من أمثال ريدي ، وكذلك أورتوني Ortony ، وشاليرت Schallert ، ورينولدز Reynolds ، وتنوس Antos في كتابهم المشترك: INTERPRETING METAPHORS AND IDIOMS:SOME EFFECTS OF CONTEXT ON COMPREHENSION فقد رفضوا فكرة الانحراف الدلالي وأن تحمل الاستعارة في مجرد خرق التعبير الاعتيادي، خشية التباسها بالأفعال اللغوية غير المباشرة مثلاً⁽²⁾.

وكذلك ريدي Reddy الذي احتج بإيراد أمثلة تعبيرية لا يظهر شذوذها الدلالي؛ لأنها يمكن أن تُحمل على المعنى الحرفي مثل جملة "الصخرة قد تصبح هشة مع تقدم العمر"؛

(1) Morgan, pragmatics of metaphor, 125 .

(2) Andrew Ortony, Diane L. Schallert, Ralph E. Reynolds, and Stephen J. Antos, Interpreting Metaphors And Idioms: some effects of context on comprehension, University of Illinois at Urbana-Champaign July, 1978, 2-3.

فيمكن استخدامها حرفيًا في سياق مجموعة من الأشخاص في رحلة جيولوجية، ومجازيًا في سياق خروج مجموعة من الطلاب من مكتب أستاذ فخري قديم مخلص⁽¹⁾.

مثل هذه التعبيرات تظهر هشاشة القول بأن الشذوذ أو انتهاك قيود النظام اللغوي علامة متفردة للكشف عن أي استعارة؛ إذ ثمة تعبيرات يمكن تفسيرها حرفيًا وعدّها تعبيرًا اعتياديًا مقبولا ويمكن أيضًا حملها على التفسير المجازي، فهي استعارة وإن لم يبدُ عليها انتهاك قيود الاختيار، فلا يشترط في كل استعارة أن يظهر شذوذها عن النظام اللغوي؛ وتبعًا لذلك فلا يمكن أن يعتدّ بهذا القول وجعله تعريفًا حديًا للاستعارة.

3. الاستعارة وتغير المعنى

يرفض سيرل القول بـ "تغيير في المعنى" Meaning Change في وصف التعبير الاستعاري، ويرى أنها "تدشن" تغييرات دلالية⁽²⁾ initiate semantic changes، لتصل إلى الحد الذي لا يعود فيه القول يعني ما كان يعنيه من قبل، أي إلى الحد الذي لا يعدو فيه تعبيرًا استعاريًا. ويستشهد على ذلك بما نألفه من تعبيرات استعارية تحولت إلى استعارات مبنية ثم أصبحت أخيرًا تعبيرًا اصطلاحيًا An Idiom، أو تكتسب معاني جديدة تختلف عن معانيها الأصلية. أما الاستعارات الأصلية فإنها لا تعد استعارة إلا لأنها لم تغير معناها من الأصل. يدرك سيرل أن التعبير الاستعاري يعني شيئًا مختلفًا عن معنى الكلمات والجمل لكن ذلك ليس لأن ثمة أي تغيير في معاني العناصر المعجمية، بل لأن المتكلم يعني بها شيئًا مختلفًا⁽³⁾.

وسيرل لا يستسيغ أن يوصف الحدث الاستعاري أو يفسر بتغير المعنى، إنه يحكم بأن الاستعارات تدشن تغييرات دلالية قد تصل بالتعبير إلى الانقطاع التام عن المعنى الأصلي،

(1) Reddy, M. J. (1969). A semantic approach to metaphor. In Papers from the fifth regional meeting, Chicago Linguistic Society. Chicago: University of Chicago, Department of Linguistics.

(2) النعمان، الاستعارة صياغة مشكل: 148.

(3) Morgan, Pragmatics Of Metaphor, 90-91

و هو ما نجده في الاستعارات الميتة التي تؤول لاحقاً إلى تعبير اصطلاحي كان تعبيراً استعارياً حياً في أول أمره ثم غدا معنى مغايراً بحيث لم يعد يوصف بأنه استعارة. أما الاستعارة فإن حقيقة استعارتها هو ارتباط معنى المتكلم فيها بمعنى الجملة وإن اختلف عنه؛ لذلك فإن سيرل يطمئن إلى القول بأن الاستعارة لا تحمل تغيراً في المعنى، فلا يزال معنى المتكلم مرتبطاً بمعنى الجملة وإن بدا الاختلاف بينهما، وهذا الاختلاف لا يرقى إلى أن يكون "تغيراً في المعنى" وفق سيرل.

وعليه فإن سيرل يجعل مفتاح الاستعارة في الإبقاء على العلاقة بين معنى الجملة الحرفي ومعنى المتكلم، ويجعل من "تغير المعنى" مرادفاً لقطع العلاقة بينهما، فإذا لم يستدع معنى المتكلم معنى الجملة من قريب أو بعيد فإن ذلك إيداناً بأن المعنى قد تغير. وسيرل وهنا يفسر تغيير المعنى بقطع العلاقة بالمعنى المعجمي قطعاً حتمياً .

ما الذي يعنيه **المعنى** في عبارة تغيير المعنى؟ السؤال الذي يتناوله مورغان بالإجابة في تناوله موقف سيرل من تغير المعنى في الاستعارة .

يفسر مورغان المعنى في عبارة "تغير المعنى" في اتجاهين محتملين:

الأول: المعنى المتعين في الجملة وفق قواعد التأليف في اللغة المستعملة، في ظل هذا التفسير فإن الاستعارة، بما هي تغيير في المعنى، فإن الأمر سيكون مشوشاً وغير متماسك. وحرفياً فإن القول بأن الاستعارة المنطوية على تغيير في المعنى فإن ذلك يعني بأن المعنى لم يعد كما كان عليه من قبل: إما لأن المعنى الأصلي قد استبدل بمعنى جديد (المعنى الاستعاري) أو أن معنى جديداً أضيف إلى جانب المعنى القديم (الحرفي)؛ وتبعاً لذلك فإن القول في تفسير الاستعارة ينطوي على تغيير في المعنى يستلزم استخدام الجملة المجازية؛ لأن المرء يغير قواعد التأليف في اللغة حتى يصبح للجملة معنى حريئاً جديداً أو معنى إضافي للمعنى الحرفي . يتضح جلياً أن هذا ليس هو المقصود من عبارة "تغير المعنى" الذي نُسب إلى الاستعارة . ومن المستبعد منطقياً وفعلياً أن يكون هناك مجتمع لغوي يلجأ فيه المتكلم إلى خرق قواعد التأليف كلما أراد أن ينشئ استعارة . فإذا قيل: "جون جدار" فهذا يعني

أن أنقل أنه غير متحرك، إذ لا تزال قواعد اللغة سليمة، بما في ذلك المعنى الحرفي للكلمة "جدار"⁽¹⁾.

يرجى مورغان المعنى في الاتجاه الأول بمعنى الجملة المتعين وفق قواعد التأليف والتعبير، ويكون فيه تغير معنى الجملة بتبدل عناصر التأليف فيها بحيث تدل على ما لم تكن تدل عليه سابقاً باستبدال معاني الكلمات بأخرى أو إضافة معان جديدة، وهذا التغير لا ينظر إلى أبعد من المعنى الحرفي للعناصر، وفي هذا الحال فإن الاستعارة ستكون صحيحة بمعناها الحرفي في جملة مثل: "جون جدار" لمجرد تغير عنصر من عناصر التأليف، ودلالته في صياغة الجملة على معنى جديد لم يسبق، دون الذهاب إلى أبعد من المعنى الحرفي إلى معنى المتكلم.

والاستعارة بما هي منظوية على تغير في المعنى فإن تغير معنى الجملة باستبدال عنصر فيها مع دلالته على معناه الحرفي فإنها استعارة صحيحة، وهو تفسير مشوش وغير متماسك، إذ على منتج الاستعارة أو الجملة المجازية أن يخالف قواعد التأليف في اللغة في كل مرة، لينتج معنى مغايراً أو مضافاً إلى المعنى الأصلي.

ينتقل مورغان إلى الاتجاه الثاني وهو معنى المتكلم وهو المعنى الذي يقره سيرل، أيًا كان ما يؤدّ المتكلم نقله في تعبيره، وفي هذا الاتجاه من التفسير فإن المعنى في عملية الاستيعاب لا يوصف بالتغير⁽²⁾.

ويخلص مورغان إلى القول بأن عملية التغير تبدأ من المعنى الحرفي، عندما يقوم المرء ببناء نسخة معدلة تختلف بطريقة ما عن المعنى الحرفي الأصلي. لكن هذا -حرفياً- ليس "تغيراً" في معنى الجملة. إن تسمية هذه العملية "تغيراً" في المعنى ليس دقيقاً بقدر القول بأن بناء نسخة معدلة قليلاً من متحف اللوفر في بيوريا يشكل "تغيراً" في متحف اللوفر. حالة الاستعارة تضارع هذا الموقف، فلا يوجد تغير حقيقي للمعنى، إذ يبدأ المرء بالمعنى،

(1) Morgan, pragmatics of metaphor, 125

(2) المرجع نفسه، 126

ثم يقوم ببعض العمليات التي تنتج شيئاً ثابتاً يمكن تسميته: المعنى meaning، والذي يرتبط بطريقة ما بالمعنى الأول. نتيجة لذلك، لدينا معنيان مختلفان، أحدهما مشتق بطريقة ما من الآخر، لكن ليس من الدقيق القول بأنَّ أيَّ شيءٍ قد تغير⁽¹⁾.

يشير مورغان إلى عدم دقة كلمة "تغير" المعنى في الاستعارة، إذ يقصد ذلك التغير الذي يحلنا إلى معنى الاختلاف الجذري، بمعنى أنَّ الاستعارة لا تحدث اختلافاً جذرياً في المعنى الحرفي، ولا ينقطع معها المعنى الاستعاري عن المعنى الحرفي كلياً، بل يؤكد مورغان كما هو الحال عند سيرل على خاصية "الارتباط" بين المعنيين الحرفي والاستعاري، لكأنما المعنيان مرتبطان بخيط من العلاقة طال أم قصر، خفي أم ظهر .

إنَّ ما تُحدثه الاستعارة بناءً نسخ جديدة من المعنى، وقد مثَّل مورغان لذلك بافتتاح متحف اللوفر في مدينة غير باريس حيث متحف اللوفر الأول. يريد مورغان تأكيد أصالة المعنى الحرفي وأنَّ إجراء الاستعارة لا يزيل ولا يخفي المعنى الحرفي بالمعنى الدقيق، وأنَّ عملية الاستعارة لا تتطلب ذلك، بل إنَّ "تغيير المعنى" ليس تغييراً في المعنى بالمعنى الحقيقي، بل إنه أقرب ما يكون - كما يصور مورغان - إيجاد نسخة جديدة من الأصل نفسه، يمكن أن نشبهها في يومنا هذا بإصدار نسخة جديدة من تطبيق عريق يحمل مواصفات إضافية. وهذا يشير أيضاً إلى خاصية "تعدد الاستعمال" في الكلمات وكأنَّ المتكلم يستخدم الكلمة في الاستعارة استعمالاً جديداً لم يعهده السامعون سابقاً.

4. تداولية الاستعارة

يبحث مورغان في صلاحية القول بتداولية الاستعارة، فهو يعد مع سيرل وبلاك من أبرز القائلين بالمنحى التداولي للاستعارة⁽²⁾، فيتساءل عن طبيعة العملية التي يتضمنها "التغير" المزعوم؛ وهو يتفق مع سيرل في تعلق الاستعارة بمعنى الكلام لا بمعنى الجملة،

(1) المرجع نفسه، 126

(2) George Lakoff, Contemporary Theory Of Metaphor, Metaphor And Thought, 2nd ed, Cambridge University Press, USA, 1993, 248

ومعنى الكلام مشروط بما يقصده المتكلم وما يفهمه المستمع في سياقات زمانية ومكانية وحالية وثقافية محددة؛ إذ "الاستدلال في السياق هو ما يكشف المعنى الذي يود المتكلم نقله في كلامه"⁽¹⁾ أي معنى الكلام، والمعنى الاستعاري في حالة الاستعارة.

لكن أنصار الدلالة يرون عدم كفاية الاستدلال والسياق للقول بتداولية الاستعارة أو بجدوى المعالجة التداولية للاستعارة بصورة أدق، والحجة في ذلك أن كلاً من الاستدلال والسياق لا يختصان بالكشف عن المعنى الاستعاري، بل هما حاضران كذلك في الكشف عن المعنى الحرفي الخالص، فجملة "الدجاجة جاهزة للأكل" دون أن تحمل أي معنى مجازي لها معنيان حرفيان محتملان والاستدلال والسياق يحددان المعنى قصد المتكلم، فالاستعارة ليست سوى شكل من أشكال ازدواجية المعنى *duality of meaning* ⁽²⁾.

ورداً على احتجاج أصحاب المنظور الدلالي يوضح مورغان أن المعنيين الحرفيين في عبارة ما هي مصادفة لغوية؛ إذ يمكن في لغة أخرى أن تجد لكل معنى منهما عبارة خاصة فلا يجتمع المعنيان في عبارة واحدة، بينما في الاستعارة فإن أحد المعنيين يكون مشتقاً من الآخر. كما أن التأويل المجازي للاستعارة مفتوح وحينها لا تقتصر قراءات الاستعارة على قراءتين؛ ذلك أن الاستعارة لا تعتمد على المعاني الحرفية المشتركة، بل أيضاً كل ما قد تتضمنه العبارة استناداً على الخلفية الثقافية بما تحويه من ثقافة شعبية أو أساطير، فالاستعارة لا تعتمد على إجراء دلالي محض، بل هي فهم كامل لعبارة خصبة بالمعاني وذلك بملء جميع الثغرات التداولية⁽³⁾.

ومن أجل تفنيد حجة الفريق الدلالي القائلة بأن الاستدلال والسياق لا يختصان بالعبارات المجازية وأنها يكشفان المعنى المقصود في العبارات غير المجازية حمالة الأوجه، عمد مورغان إلى التمييز بين تلك العبارات التي تنسم بازدواجية المعنى والعبارات المجازية

(1) Morgan, pragmatics of metaphor, 126

(2) المرجع نفسه، 126

(3) المرجع نفسه، 127

التي يتعلق فيها المعنى أو المعاني بالمعنى الحرفي الأصلي؛ فهو يرجئ الحالة الأولى للتصادف اللغوي Coincidence حيث لا يرتبط فيها المعنيان احتمالان ببعضهما غالبًا. في حين يتعلق المعنى المجازي بالمعنى الأصلي في العبارات الاستعارية، بل ويُبحث فيها دائمًا عن العلاقة (الدليل) التي تربط المعنى المجازي بالمعنى الحرفي وتقود المستمع إلى المعنى المقصود واكتشاف براءة المتكلم في إنشاء تلك العلاقة .

وبذلك يؤكد مورغان أنَّ عبارة "تغيير المعنى" لا معنى لها إذا ما أخذت حرفيًا. فإذا كان المرء يبحث عن حقيقة المعنى عبر المعنى الاستعاري، فإنه سيصل إلى الاستنتاجات نفسها التي توصل إليها سيرل في ورقته: أن الاستعارة هي مسألة معنى الكلام، وأنَّ المجال المناسب لحساب الاستعارة هو التداولية، وليس الدلالة⁽¹⁾.

ولأنَّ مورغان لا يرى الاستعارة خاصية للجملة، بل هي ما يفعلها المتكلم في الجملة، وتأكيدًا لتوجهه في مقارنة الاستعارة تداوليًا، فإنه يعقد مقارنة بين الاستعارة وأفعال الكلام غير المباشرة ليظهر مدى التشابه بينهما مؤكدًا أنَّه لا يقصد القول بأن الاستعارة نوع من أفعال الكلام غير المباشرة .

فجملة "أنت جالس على قبعتي" لمتكلم أراد من المستمع النهوض، فالجملة الحرفية لم تخبر بهذا الطلب غير المباشر، بل عند قيام المتكلم بقول الجملة، وسيعرف المستمع حتمًا غاية المتكلم من قول تلك الجملة، والمعالجة المناسبة لهذا النوع من المعنى غير المباشر لا ينتمي إلى نظام الجملة وإلى دائرة الدلالة، ويضيف مورغان جملة أوردها بلاك في ورقته: "القصيدة في الدراج"⁽²⁾⁽³⁾؛ فهي لا تعني أن القصيدة مثل الدراج، بل هي دراج، ومثلها جملة: "جون ليس فقط مثل شجرة، إنه مثل شجرة" وفي مثل هذه الجملة يمكن القول أنَّه لا توجد نظرية تشبيه بسيطة يمكنها التعامل مع هذه الحالة؛ لأنها تؤكد الاستعارة ولكنها

(1) المرجع نفسه، 127

(2) الدراج: طائر قريب من الخجل، من فصيلة رتبة الدجاجيات.

(3) Black, More about metaphor, 21

تنكر التشبيه. فالاستعارات ليست مجرد متغيرات نحوية للتشبيهات، أما جملة "عقل جون مرعى في الشتاء" فهي تؤكد مرة أخرى أن تفسير الاستعارة لا يكون بتحويله مرة أخرى إلى المعنى الحرفي غاية التخلص منه، وأنه لا يمكن التعامل مع الاستعارة ككائن دلالي يقوم فيه المستمع بإجراء بعض العمليات على المستوى الدلالي فقط⁽¹⁾.

أمثلة مورغان لإثبات تداولية الاستعارة:

6. عقل جون هو مرج في الشتاء

7. القصيدة هي الدراج

8. جون ليس مثل شجرة، بل هو شجرة

كان رُؤ مورغان موفقاً إلى حدٍ بعيد ووافياً في الرد على القول بأنَّ الاستعارة لون من ألوان ازدواج المعنى عبر التفريق بين الحالتين وتمييز كل منهما عن الأخرى، أمّا عن احتجاج أنصار المعالجة الدلالية بأنَّ الاستدلال والسياق ليسا سببين كافيين (not sufficient grounds) للقول بتداولية الاستعارة، وتشبيهها بحالة ازدواج المعنى في العبارات غير المجازية، فإضافة إلى رده السابق في نفي ذلك التشابه، يقابل مورغان ذلك بتشبيه آخر يعضد رأيه في انتماء الاستعارة إلى المجال التداولي وهو تشبيه حالة الاستعارة بحالة أفعال الكلام غير المباشر التي هي حالة تداولية محضة لا ينكرها الفريق الدلالي، مؤكداً أن الحالتين منفصلتان وأنه "لا يدعي أنَّ الاستعارة جزءٌ من أفعال الكلام غير المباشر"⁽²⁾.

وأرى أنَّ الاحتجاج بأن الاستدلال وهو الصنف الثاني الكبير في الظواهر التداولية إلى جانب إلقاء القول والتعليمات وفق القاموس الموسوعي للتداولية⁽³⁾، والسياق بعده الخلفية غير اللغوية للكلام شاملاً الحال الذي وقع فيه ووعي المتكلم والمستمع وكل ما قد يتعلق

(1) Morgan, Pragmatics Of Metaphor, 127-128

(2) المرجع نفسه، 127

(3) جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين المجدوب، دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، 25.

بموقف الكلام من معتقدات وافتراضات مسبقة⁽¹⁾ يسهمان في كشف المعنى الحرفي المقصود في العبارات مزدوجة المعنى لهو أدل على جدوى المعالجة التداولية في الكشف عن قصد المتكلم ليس في العبارات المجازية فحسب؛ بل في العبارات الحرفية في بعض الحالات، وهي وإن لم تكن مميّزة للاستعارة فلائق رقة التداولية أوسع من أن تقتصر على الاستعارة وأشمل من أن تعالج ظاهرة لغوية دون أخرى .

وأظن اللبس القائم بسبب الخلط بين عدّ الملامح التداولية خاصية كاشفة للاستعارة وتمييزها عن غيرها من أنواع المجاز - وهو وهم محض - وبين اعتماد التحليل التداولي في الكشف عن المعنى الاستعاري المتواري خلف المعنى الحرفي، وهي مسألة تستحق البحث فيها، وقد لاحظ مورغان أن سيرل قدم تحليلاً تداولياً للاستعارة وتحديدًا كيف يفهمها المستمع، لكنّه لم يجب عن طبيعة الاستعارة (ما الاستعارة؟) وتمييزها عن غيرها من ظواهر لغوية ذات ملمح تداولي بمعنى أنّ العناصر التداولية جزء رئيس في تشكيل الظاهرة وتحديد طبيعتها.

فمورغان رغم اختلافه مع سيرل في تفاصيل معالجته التداولية للاستعارة إلا أنّه يتفق بالمجمل مع سيرل في أنّ التداولية هي المعالجة الأنجع في حل معضلة الاستعارة والكشف عن المعنى الاستعاري وليس المعالجة الدلالية منفردة .

2. ملاحظات مورغان على تداولية الاستعارة عند سيرل

1. الأمثلة الاستعارية عند سيرل

في الجزء الأول من انتقاد مورغان لحجج سيرل ضد نظرية التشبيه يتناول مورغان الأمثلة التي أوردها سيرل في نفي التشابه، ونستطيع إجمال نقاط نقده فيما يأتي لنتناولها بالتفصيل لاحقاً:

(1) David Crystal, A dictionary of linguistics and phonetics, Blackwell Publishing USA, 2008,109 .

أ. أمثلة لاستعارات مخزنة أو تعابير اصطلاحية لا تحتاج إلى تحليل سيرل بالخطوات الثلاث .

ب. وجود علاقة التشابه في الاستعارة المستقاة من الأساطير والثقافة الشعبية .

ت. بعض أمثلة سيرل ليست عابرة للثقافات Cross-Cultural .

يصف مورغان أمثلة سيرل أنها من حالات النوع الأول وفق تصنيفه ويسميتها "الاستعارة المخزنة" Stored Metaphor وهي استعارة يعرفها الجميع، في طريقها لتصبح تعبيراً اصطلاحياً شائعاً، ولكن في الواقع، مفهومة مجازياً. أمّا الأمثلة التي يفضلها مورغان فيما يبدو فهي حالات الاستعارة الواضحة وهي حالة لم تواجهه من قبل، ويجب على المرء اكتشافها حقاً⁽¹⁾ .

وإذا تناولنا أحد أشهر أمثلة سيرل "جون خنزير" يصفها مورغان قائلاً: إنّه عندما يقال إنّ المرء خنزير، فإنّه لا يعدّ العبارة مشكلةً مجازية جديدة تُكتشف من جديد عبر قواعد سيرل. لدى المستمع بالفعل معرفة أن العبارة تستخدم مجازياً لقول شيء عن العادات الشخصية، ويتذكر هذه المعلومات على الفور. يعرف المستمع على الفور ما هو المقصود. إنّها استعارة مؤسسية ، ومعرفة أن كلمة "خنزير" تستخدم بهذه الطريقة تختصر عملية اكتشاف الاستعارة من المعنى الحرفي. ومن الواضح أن المستمع لا يعالج "جون خنزير" بنفس الطريقة التي يعالج بها المرء "جون كنغر". ويعرف المستمع على الفور ما هو المقصود في الحالة الأولى⁽²⁾. وتختلف هذه الاستعارات المخزنة عن الاستعارات الجديدة، تلك الاستعارات التي يكاد مورغان يعدها شكلاً من أشكال أفعال الكلام غير المباشر لكنّه يتحاشى ذلك .

يوجه مورغان نقده لتحليل سيرل الثلاثي وهو في هذا يختبر مدى جدوى هذا التحليل في مواجهة نظرية التشابه عبر أمثلة يطرحها ليتوصل إلى تعثر هذا التحليل في معالجة بعض

(1) Morgan, Pragmatics Of Metaphor, 129

(2) المرجع نفسه، 129

الأمثلة الشائعة؛ ففي حين تبدو بعض العبارات من نوع "الاستعارة الفورية" التي ينتقل فيها المستمع فوراً على المعنى المجازي، فقد تبدو استعارات أخرى يصح فيها الأخذ بالمعنى الحرفي، لذلك يرى مورغان في الاستعارات الجديدة محاولة تعطيل التورية، وفي ذلك يضرب مورغان بمثالين:

عبارة " المعرض ملك توت هو كنز فرعون المدفون" حين ينوي المتكلم القول بأنَّ المعرض قد كلّف المنظمين الكثير من المال، لكن المعنى الحرفي منطقي أكثر من المعنى المجازي، فيصعب فيها التنبؤ بالاستعارة وفق تحليل سيرل.

أما عبارة "حساب جون هو كنز فرعون المدفون" فيمكن التعرف على المعنى المجازي وفهمه فوراً، مثل هذه الاستعارات والتي يطلق عليها مورغان "الاستعارات المخزنة" تختلف عن فئة الاستعارات الجديدة ولا تصلح كحالة اختبار لفهم الاستعارة وهي مما أوردها سيرل في عرض نظريته؛ ولذلك فهي لا تصلح أيضاً للهجوم على نظرية التشابه⁽¹⁾.

يوجه مورغان نقده لاقتراح سيرل في معالجة الاستعارة عبر تحليل الاستعارة ثلاثي الخطوات، إذ يرى عدم جدواه في كثير من العبارات ومنها تلك التي أوردها سيرل نفسه في نقض نظرية التشابه؛ وبهذا يظهر مورغان عوار التحليل، ويبين عدم نجاعة الخطوات الثلاث في التحليل الاستعاري بسبب هشاشة العبارات من الناحية الاستعارية لكثرة استهلاكها وبدايتها وسرعة الكشف عن استعاريتها حتى أطلق عليها "الاستعارات المخزنة".

ولأنَّ الاستعارات الجديدة في نظر مورغان هي المشكلة المركزية لنظرية الاستعارة؛ ويجب التعامل مع الاستعارات المخزنة بشكل جزئي⁽²⁾؛ فإن تحليل سيرل لم يتمكن من الإطاحة بنظرية التشابه وترك كثيراً من الثغرات تحتاج أن تسدّ.

(1) المرجع نفسه، 129-130

(2) Morgan, Pragmatics Of Metaphor, 130 .

يشير مورغان إلى وجود تعابير اصطلاحية ليست استعارات على الإطلاق كما يقرّ بذلك سيرل، فهي عبارات غامضة تحمل معنيين حرفيين اثنين، وتُبنى على نوع غريب من الاستخدام غير الحرفي كما يصف مورغان، على سبيل المثال: عبارة "ركل الدلو" kicked the bucket فالمعنى الثاني في الإنجليزية الذي يعدُّ معنى حرفيًا هو أنه "توفي"، فيمكن أن تستخدم استعاريًا للتعبير عن أنه لم يمِت فحسب، بل مات مorte شنيعة في عبارة: "عندما ركل جون الدلو، ألقي به إلى البلد المجاورة" When John kicked the bucket, he knocked it into the next county . ومثلها عبارة "وضع قدمه في فمه" put his foot in his mouth أي أساء الحديث فأزرى بنفسه، فيقال للتعبير عن شدة سوء الحديث أنه: وضع قدمه ومعظم ساقه في فمه John put his foot in his mouth and most of his leg as well⁽¹⁾.

وقياسًا على ذلك وبما أقرّه سيرل نفسه، بأن هناك ألفاظًا أو تعابير اصطلاحية شاع استعمالها للدلالة على سمات أو أفعال محددة تعارف عليها مجتمع لغوي ما، فلا يضير - وفق مورغان- أن يوصف شيء بـ "البارد" دلالة على "عدم استجابته" فتستخدم العبارة استعاريًا في عبارة "سالي كتلة ثلج" - مثال سيرل في دحض نظرية التشبيه- وبذلك يفرّغ مورغان مثال سيرل الأشهر من فاعليته في مواجهة نظرية التشبيه⁽²⁾.

ويتخطى مورغان ذلك بأن يصنع لأمثلة سيرل طريق الهروب من فرضية سيرل القائلة بنفي التشابه؛ فيحوّل المثال "سالي كتلة ثلج" أسطوريًا وجه تشابه وإن أقرّ المتحدثون بعدم صحته على وجه الحقيقة، ومثل ذلك من أمثلة سيرل: "جون غوريلا"، فيرى مورغان أن الثقافة الشعبية التي تجعل من اليوم حكماء ومن الثعالب مأكرة، ومن الثعابين متسترة،

(1) المرجع نفسه، 130

(2) المرجع نفسه، 130

يمكن أن تبنى عليها استعارات، بل ويمكن عدّها استعارات مخزّنة، والبرودة وعلاقتها ببلادة المشاعر هي مثل ذلك⁽¹⁾.

يخرّج مورغان "سالي كتلة ثلج" مخرجين: الأول أن تكون تعبيراً اصطلاحياً على غرار "ركل الدلو"، والثاني أن تكون استعارة مخزّنة بنيت على ثقافة شعبية تجعل من البرودة صنو السكون وعدم الاستجابة بصرف النظر عن حقيقة ذلك في الواقع، فيكون التشابه قائماً بين من يتصف ببلادة المشاعر وبين صفة البرودة التي تشي بعدم الاستجابة في ثقافة المتحدثين.

هذه الاحتمالات المختلفة لإعادة تفسير أمثلة سيرل تضعف قضيته ضد نظرية التشبيه، بقدر ما تعتمد قضيته على تلك الأمثلة، ومما يُوجّه إلى أمثلة سيرل أنها ليست عابرة للثقافات المختلفة؛ إذ إنّ الاستخدام المجازي يختلف عبر الثقافات وفقاً للاختلافات في المعتقدات المشتركة، وقد اختبر مورغان عدداً من الاستخدامات المجازية لعدد من الكلمات، ليجد أن هناك العديد من الاختلافات وكذلك العديد من أوجه التشابه بين تلك الثقافات في الاستخدام المجازي للألفاظ⁽²⁾.

لماذا يبدو تحليل سيرل غير مجدٍ في تحليل الاستعارة؟ أو مع أي نوع من العبارات الاستعارية يتعطل تحليل سيرل عن العمل؟

تلك هي الاستعارات المخزّنة كما يسميها مورغان التي لا تحتاج كل ذلك العناء من المستمع، ولا تخطو على عتبات التحليل الاستعاري لسيرل، فهي قريبة من أن تغدو تعابير اصطلاحية لكنها تظل استعارة.

العبارات الأخرى التي يلفت مورغان إليها النظر هي استعارات جديدة لكن لا يبدو فيها الانتهاك الذي ينبه المستمع إلى معنى ثانٍ يحتبئ خلف المعنى الحرفي، ذلك أنها تحتمل المعنى الحرفي فتكون له الأولوية في أن تحمل عليه، أو أن المعنى الاستعاري يتبادر إلى الذهن

(1) المرجع نفسه، 130

(2) المرجع نفسه، 131

ولا يلتفت فيه إلى المعنى الحرفي بتاتاً. ثم يستعرض مورغان أمثلة سيرل في نقض نظرية التشابه ليرى كيف يمكن أن تُحمل ضمن مجموعة التعابير الشائعة ذات المعاني المزدوجة وقد تستخدم فيما يشبه الاستعارة، أو تُحمل على أنها استعارات منشؤها الثقافة الشعبية التي تفرض على كثير من الدوات كثيراً من السمات بصرف النظر عن الحقيقة الواقعة.

2. تحليل سيرل للاستعارة

في الجزء الثاني من نقده يتناول مورغان تحليل سيرل للاستعارة، التحليل ينجز في ثلاث خطوات كما أوردنا سابقاً⁽¹⁾:

الأولى: رصد فشل المعنى الحرفي وضرورة الانتقال إلى معنى آخر غير حرفي في جملة (س) هي (ب) .

الثاني: الكشف عن قيم ر المحتملة التي يصلح أن تجمع بين س و ب وفق المبادئ التي ذكرها سيرل وذلك عبر البحث في السمات البارزة والمعروفة و المميّزة لـ (ب).

الثالث: اختيار أنسب قيم ر المرشحة تصلح أن تكون سمة لـ (س) .
بالاطلاع على الخطوة الأولى في مخطط سيرل فإن مورغان يرى أن سيرل لم يجب عن طبيعة الاستعارة في مخطظه عبر الإجابة عن : كيف يجزم المستمع أنه ثمة استعارة ؟
وفق سيرل فإنّ تنبّه المستمع بعد فحص العبارة إلى أنه انتهاك في قواعد المحادثة عندما يكون الكلام غير منطقي أو خاطئ بشكل واضح، أو غير متصل بالسياق، يدفعه لاستنتاج أن ثمة استعارة لابدّ من الكشف عنها أو أي ظاهرة لغوية أخرى غير حرفية المعنى⁽²⁾ .

نذكّر أن الإقرار بوجود انتهاك حاضر عند الفريقين أصحاب نظرية التشبيه الذين يرون الاستعارة انتهاكاً على المستوى الدلالي (الانحراف الدلالي) وهو ما يرفضه التداوليون، إذ إنهم يقرّون بحتمية وجود الانتهاك الذي ينبّه المستمع لكنّه انتهاك في قواعد المحادثة.

(1) Searl, Metaphor, 103-104

(2) Morgan, Pragmatics Of Metaphor, 131

ما يعنيه سيرل أنه إذا وجد انحرافاً في معنى الجملة، فإن المتحدث لم يمكن ينوي معنى الجملة الحرفي فحسب، بل بافتراض أن المتحدث ينوي إنشاء استعارة فإنه سينطق بجملة حرفية المعنى ينوي بها معنى آخر يقصده المتكلم، لكنه حتماً لن ينطق بأي جملة حرفية، بل إنه سيتلفظ بجملة حرفية محددة توصل المستمع إلى المعنى الذي يقصده؛ لذلك فلا شك أن معنى الجملة سيكون ذا علاقة بمعنى المتكلم .

وإذا أمكن القبول بهذا، فإنه من غير الواضح كيف يمكن أن نستدل أن اتصال معنى الجملة بمعنى المتكلم هو تلكم الاستعارة. ويتساءل إن كان هذا الاستدلال استدلالاً طبيعياً يمكن أن يقوم به أي كائن منطقي؟ أم أنه يعتمد على المعرفة المسبقة بوجود شيء مثل الاستعارة يستخدمها الناس من حين لآخر لأغراض معينة؟ إذا كان من الممكن أن يكون هناك كائن عقلائي من مجرة أخرى مشبعاً بقواعد اللغة، ولكنه لم يتعرف على مفهوم الاستعارة ولم يصادف أي مثال على الاستعارة، فهل سيتعرف على الاستعارة مباشرة إذا كانت المرة الأولى التي يتعرف فيها على واحدة منها؟ أم أنه يجب أن يقال له، أو يتعلم بعرض نموذج، ويتعرف على الاستعارة وقواعدها والغرض منها؟ هل الاستعارة وظيفة طبيعية للعقل أم مفهوم يجب تعلمه؟ يفترض مورغان أنها وظيفة طبيعية للعقل⁽¹⁾ .

وهو بهذه الإجابة يستبعد أن تحتاج الاستعارة إلى إجراء تحليل ذي خطوات؛ إذ يمكن للعقل البشري معالجتها وأن يتعرف عليها وإن لم يُصطلح على تسميتها بوضع حدٍّ لها. هذا الافتراض لكائن يمتلك التفكير المنطقي العقلاني فيعي الاستعارة -وفق تصور مورغان- يستدعي تساؤلات حول مدى قدرة الذكاء الاصطناعي والروبوتات الحديثة على كشف العبارات الاستعارية وفهمها والتوصل للمعنى الاستعاري وخاصة في الاستعارات الجديدة. أما الخطوة الثانية في تحليل سيرل، فيتناول مورغان فيها مصطلح "استدعاء الذهن Call to Mind"، إذ على المستمع أن يستدعي إلى ذهنه أو يستحضر كل القيم -وجوه الشبه في نظرية التشابه- التي يمكن أن تكون أو تشكّل علاقة ما بين (س) و (ب)

(1) Morgan, Pragmatics Of Metaphor, 131-132

طرفي الاستعارة في جملة مثل (س) هي (ب)؛ وحتى يستدعي تلك القيم عليه أن يستدعي كافة السمات البارزة والمميّزة لـ (ب) التي تصلح أن تكون كذلك سمة لـ (س) في سياق عبارة (س) هي (ب). على أن قيم (ر) يمكن أن تكون واحدة من ثمانية مبادئ اجتهد سيرل في وضعها وهي قابلة للزيادة، ويتطلب من المستمع أن يستدعيها أو يستحضرها إلى ذهنه وهي مجموعة العلاقات التي قد تربط بين (س) و (ب) للكشف عن المعنى الاستعاري الذي يقصده المتكلم.

يتساءل مورغان حول هذا التعسف في استدعاء الذهن: هل من الممكن استبدال هذه القائمة بتعميم أو اثنين يمكن اشتقاق القائمة منهما كنتيجة لذلك، أم أننا عالقون بقائمة اعتباطية مجهولة الطول؟ من المؤكد أنّ عبارة "استدعاء إلى الذهن" عامة للغاية. وتشترط العملية أن يكون هذا المستدعى هو ما يقصده المتكلم حتمًا؛ فكأنّها عملية تصفية لجميع أنواع الارتباطات العشوائية الخاصة، التي لا ينوي المتحدث إثارتها في ذهن المستمع، بل قد لا يعرف عنها. يعتقد مورغان أنّ هذا النوع من الشروط ضمني في مخطط سيرل⁽¹⁾. لا يرى مورغان جدوى لهذا العرض المطوّل لقائمة مبادئ سيرل التي يقول عنها سيرل أنه لم يحط بجميع المبادئ التي قد تتمثّل طبيعة العلاقة بين طرفي الاستعارة⁽²⁾، أي أنّها ليست قائمة نهائية؛ لذلك يقترح مورغان أن تستبدل بالقائمة تعميمًا يمكن أن تشتق منه هذه القائمة تباعًا، ما يعني وضع حدٍّ للاستعارة تليها قائمة مبادئ العلاقات المحتملة.

فضلاً عن ذلك، فإن استدعاء الذهن لا يختص بالاستعارة، بل إن هناك أنواعًا أخرى من المجاز تستدعي إلى الذهن معنى ثانياً بسبب رفض المعنى الحرفي، بل أكثر من ذلك، يورد مورغان حالات تُستخدم فيها الجملة كاملة استخدامًا مجازياً، دون أن يشير أي جزء من أجزاء الجملة الأساسية إلى جزء محدد من أجزاء المعنى الاستعاري⁽³⁾.

(1) المرجع نفسه، 132

(2) Searl, Metaphor, 104

(3) Morgan, Pragmatics Of Metaphor, 132

ويرى الدكتور عيد بليغ أن نقد مورغان هاهنا متوجّه إلى انطلاق التحليل الاستعاري من المعنى الحرفي للجملة، وجعل المعنى الحرفي هو نقطة البداية في تأويل الاستعارة، وهو ما لا يحبذه مورغان ويرى عدم الاكتفاء به؛ وذلك لوجود وسائل تداولية كثيرة تتدخل في عملية التأويل، ويرى الدكتور أن مورغان قد بالغ في مأخذه هذا على سيرل؛ إذ التأويل بالوسائل التداولية لا ينفي أن تكون الوسيلة اللغوية هي الحاملة الأولى للدلالة الثانية (معنى المتكلم)، ويذكر بأن سيرل قد التفت إلى العناصر التداولية والسياقية في المبدئين الثالث والرابع من مجموع مبادئه، كالتصورات الأسطورية التي تعين على عملية الاستدعاء، كما أشار إلى الحساسية الثقافية والطبيعية التي تعين على الوقوف على الرابط بين المعنى الحرفي والمعنى الاستعاري⁽¹⁾.

يستعرض مورغان مجموعة من العبارات الاستعارية منبّهًا إلى قدرتها على الانفلات من تحليل سيرل بخطواته الثلاث ومبادئه الثمان:

يلقب مورغان على جملة "السماء مظلمة" أو "السماء ملبّدة" لشخص يجيب عن الوضع السياسي في ولايته، بأنه لا يوجد شيء معين تشير إليه "السماء" أو "هو"؛ الجملة بأكملها بمثابة استعارة، وتستدعي بطريقة ما إلى الذهن حالة غير مبشّرة⁽²⁾.

يشير مورغان إلى أن كلمة كلمة "السماء" وحدها لا يمكن أن يقال إنها تشير إلى كذا تحديدًا ولا كلمة "مظلمة" أو "غائمة"، لكنها وبلا شك تحمل استعارة واضحة بدليل قبولها إجابة عن سؤال كيف حال مدينتك؟ فهي تشير إلى سوء الوضع بجملة كاملة استعملت استعمالًا مجازيًا دون أن نتمكن من القول أن "السماء" هي ب في (س) هي ب) وفق مبادئ سيرل وكذا "مظلمة".

(1) بليغ، عيد، الرؤية التداولية للاستعارة، علامات، مكنا، المغرب، ع 23، 2005، 103-104 .
استرجعت بتاريخ 2024/10/15 من موقع: [p://search.mandumah.com/Record413422/](http://search.mandumah.com/Record413422/)

(2) المرجع نفسه، 132

أما عبارة "أفضل لو كنت في فيلادلفيا" التي صرح الممثل الساخر 'W.C.Fields' وضعها شاهداً على قبره تعبيراً عن سوء الأوضاع في فيلادلفيا مسقط رأسه، فيمكن أن تستخدم استعارياً عندما يجيب بها أحدهم عن رأيه في مدينة ما أو مكان ما يرى فيها ما كان يراه فيلدز في فيلادلفيا. وهي مثل سابقتها "السماء مظلمة" لا يمكن فيها تحديد الجزء الاستعاري من الجملة، فالعبارة قد تستعمل استعارياً جملة واحدة، لذلك يقترح مورغان أن تدرج في المجاز بصورة العامة؛ لأنها ليست كالاستعارة في "جولييت هي الشمس" (1).

إنّ مسألة استدعاء الذهن حاضرة في كثير من التعبيرات التي عرفنا المناسبة التي قيلت فيها، هذه العبارات تستدعي إلى الذهن بدهة أشياء أو أناساً أو حكايات معينة لكنها لا تعدّ استعارة، أو تعرف بأنها استعارة لمجرد حضور "استدعاء الذهن" في عملية فهم العبارة.

وفضلاً عن تلك العبارات فقد أورد مورغان مجموعة من العبارات ذات العلاقات التي تربط بين أجزائها علاقات متعددة مثل علاقة الجزء بالكل، وعلاقة المحتوي بالحاوية، وغير ذلك مما أورد مورغان، وهي تعدّ "استعارة" على نظام سيرل. وهذه وسابقتها ليست سوى كنايات وأنواع من المجاز المرسل وهي تستحق وضعاً منفصلاً كما يرى مورغان، لكنها مشمولة في مبادئ سيرل ضمناً، لا لشيء سوى أن "استدعاء الذهن" حاضرٌ فيها مثل:

9. الغلاية تغلي.

10. انتخب واشنطن عمدة جديداً (2).

يبين مورغان الفرق في "استدعاء الذهن" بين الاستعارة المركزية في "لقد تركني برعم الورد الرقيق" وبين عبارة "الغلاية تغلي" أن الأخيرة يبحث فيها المتحدث عن أقرب شيء

(1) Morgan, Pragmatics Of Metaphor, 132

(2) المرجع نفسه، 133

يمكن أن يستدعيه المستمع إلى ذهنه مباشرة دون عناء فيختار كلمة "الغلاية" للإشارة إلى محتويات الغلاية، في حين يتجاوز غرض المتحدث في العبارة الأولى مجرد الاختصار في الإبلاغ إلى الإشارة إلى أهمية المرجع ودلالته العاطفية⁽¹⁾.

تقود هذه المسألة مورغان نحو مسألة أخرى هي الغرض من "استدعاء الذهن"؛ فهو يرى أنَّ "استدعاء الذهن" يتجلى أكثر ما يتجلى في استعارات الشارع - كما يصفها - استعارات المحادثات اليومية، ويشيع في هذه الاستعارات أن تكون ذا قيمة عاطفية أو نفسية⁽²⁾.

وهذا يتصل بسؤال أكثر أهمية لم يأبه نظام سيرل بالإجابة عنه، هو: ما الغرض من الاستعارة؟ ولماذا يختار المتحدث المجاز بدلا من اللغة الحرفية؟ يفترض سيرل أنه يمكن الإجابة عن الأسئلة الأساسية في الاستعارة دون أن نأبه بالغرض من الاستعارة، ويشكك مورغان في ذلك. فالهدف في أفعال الكلام غير المباشرة وفق مورغان هو الرغبة في عدم المباشرة تأدياً أو غير ذلك من آداب التفاعل الاجتماعي، لذلك تكون عبارة "من فضلك" مقبولة في سياق الطلب المباشر، في حين تكون تبدو غريبة في سياق الكلام غير المباشر، فمثلاً عبارة: "الجو حار" في سياق طلب فتح التكييف، ستبدو غريبة إذا كانت: "لو تكرمتم. الجو حار"⁽³⁾.

بنى سيرل اقتراحه للإجابة عن كيف نحلل الاستعارة، حتى نصل لمقصود المتكلم. وما يشغل مورغان هو البحث في الغرض من الاستعارة، لماذا تنشأ الاستعارة ابتداءً؟ لماذا يلجأ المتكلم إلى الاستعارة؟ ولعله أحياناً يتكلف عناء لغوياً في رسم استعارة لتبدو في أحسن صورة، وهو يجعل من إجابة السؤال ركناً في الإجابة عما بحث عنه سيرل: كيف نفهم الاستعارة؟

(1) المرجع نفسه، 133-134

(2) المرجع نفسه، 134

(3) المرجع نفسه، 134

يُحتم مورغان حديثه عن الغرض من الاستعارة، عبر إبطال الأغراض التي لا تتوجه إليها الاستعارة؛ فلن يكون الغرض من الاستعارة عدم المباشرة كما هو الحال في الأفعال الكلامية غير المباشرة، ولا مجرد الاستسهال؛ فالجمل الحرفية ستكون حينها أجدى في تحقيق الغرض، وحتما سيكون الغرض أكثر من مجرد الاستمتاع بلح الألفاظ فيما يرى⁽¹⁾، بمعنى أنه لن يكون مجرد إمتاع المستمع إمتاعاً لغوياً عبر كشفه المعنى المتواري خلف المعنى الحرفي .

يؤكد مورغان في نهاية بحثه، أنَّ الاستعارة تحمل خصوصية ما، وأن الغرض منها يتجاوز الأغراض البلاغية في الأنواع الأخرى من أفعال الكلام غير المباشرة، ويتساءل ما إذا كان شأن الاستعارة وهما الأكبر هو فقط أن نكشف عن معنى متوارٍ في الاستعارة، فإذا كان هذا هو كل ما في الأمر؛ فلم نجهد أنفسنا في صنع الاستعارة ؟ ولماذا نلجأ إلى الاستعارة؟⁽²⁾

يطرح مورغان هذا السؤال ليثير الكثير من التكهّنات والأفكار بحثاً عن إجابة دقيقة وشاملة لأنواع الاستعارة المختلفة، ويثقل التساؤل حين يردفه بالتشكيك في التوصل إلى إجابة مُرضية لا تثير حولها المزيد والمزيد من الملاحظات والأسئلة .

الخاتمة

في ختام الدراسة نستطيع أن نُجمل ملاحظات مورغان على تداولية الاستعارة عند سيرل فيما يأتي:

يتفق مورغان مع سيرل في جدارة المجال التداولي لتناول الاستعارة: الكشف عنه، وتحليله، وتمييزه عن أنواع المجاز التي تشترك مع الاستعارة في "استدعاء الذهن"، وتشمل الأساسات التداولية التي اعتمدها سيرل في نظريته ووافقه عليها مورغان الآتي:

(1) Morgan, Pragmatics Of Metaphor, 134

(2) المرجع نفسه، 134

1. التمييز بين معنى الجملة ومعنى التلفظ، أو معنى المتكلم، هو أول تحليلات التداولية في نظرية سيرل، فالاستعارة محلها المجال التداولي، ذلك أن معنى المتكلم هو مصنع الاستعارة وفق سيرل ومن بعده مورغان .

2. الاستعارة ليست وليدة الانحراف على المستوى الدلالي كما تقرر النظرية الاستبدالية؛ إذ القول بأنَّ الاستعارة ناشئة عن انتهاك قيود الاختيار الدلالي تسليم بثبات المعاني وانفصالها عن السياق، وعن طبيعة استعمالها، مع التأكيد على القول بأن الانتهاك أو الخرق على مستوى قواعد المحادثة أو شروط النجاح، يمثل التنبيه الأول للمتكلم على وجود معنى مجازي وفق سيرل وهو ما يقف عنده مورغان، وهنا يتبادر سؤال: ألا يمكن أن يعد "الانحراف الدلالي" جزءًا من الانتهاك في قواعد المحادثة ؟ .

3. يرى مورغان "تغير المعنى" في الاستعارة لا يجب أن يحمل بمعنى مغادرة المعنى الأصل، بل هو استعمال جديد للفظ شاع استعماله بطريقة محددة، طريقة جديدة في استعمال اللفظ تختلف عن الطريقة المعهودة التي ألفها الناس . فليس هناك تغير بما هو معنى مختلف يخالف المعنى الأصل، بل يبقى الخيط الرابط بين المعنى الجديد (المعنى الاستعاري) والمعنى الحرفي (معنى الجملة) دليلاً يقود المستمع إلى المعنى الذي يرميه المتكلم .

هذه أغلب اتفاقات مورغان مع سيرل، أمّا مؤاخذاته فيمكن إجمالها في الآتي:

1. بعض أمثلة سيرل أخفقت -فيما يرى مورغان- أن تكون داعماً للنظرية؛ فهي إمّا استعارات ميتة أو كنايات وتعبير اصطلاحية تتجاوز مراحل تحليل سيرل، أمّا أمثلة الاستعارات المنعقدة من أساطير الثقافة الشعبية فلا يمكن إنكار التشابه بين طرفيها، فضلاً عن أن بعض أمثلة سيرل لم يجدر به التمثيل بها؛ إذ

- تتصف بالخصوصية الالسانية، فلا يمكن إنزالها على الألسن عامة؛ لأنها لا تشكل استعارة في ألسن معينة ويمكن وصف هذه الأمثلة أنها غير عابرة للثقافات .
2. يبدو تحليل سيرل ذو الخطوات الثلاث غير ذي جدوى مع بعض أمثلة سيرل وفق رؤية مورغان، كالاستعارات الميتة والتعبير الاصطلاحي التي تستعمل في سياق استعاري، ويخفق التحليل في أولى خطواته: كشف المستمع عن وجود انتهاك أو خرق لقواعد المحادثة، هذا الانتهاك قد لا يتوافر في جميع الاستعارات، فلا يصح أن يكون شرطاً حاداً للكشف عن وجود استعارة .
3. الخطوة الثانية في التحليل المتعلقة باستدعاء قيم العلاقة المحتملة إلى الذهن انطلاقاً من مبادئ سيرل الثمانية، يرى مورغان أن القائمة أطول من أن يطبق عقل المستمع استعراضها أو حتى يعلم بها، وكذا المتكلم، فضلاً عن أن قائمة سيرل مبدئية وقابلة للاتساع، وكان الأجدى في رأي مورغان أن تحتل القائمة في تعميم تندرج تحته أنواع العلاقات .
4. تعثر سيرل في نظر مورغان في فصل الاستعارة فصلاً قاطعاً عن بقية أنواع المجاز بالاتكاء على "استدعاء الذهن"، ما جعل شبكة الصيد التي ألغها سيرل واسعة بالقدر الذي جعلها تلتقط إلى جانب الاستعارات ما ليس باستعارة .
- وأخيراً فإنه في الوقت الذي انصب فيه اهتمام سيرل على الإجابة عن سؤال: كيف نفهم الاستعارة؟ كيف نُحلل؟ تطلع مورغان إلى الإجابة عن طبيعة الاستعارة، وأغراض الاستعارة، ولماذا نلجأ للاستعارة؟ إذ اهتم مورغان بالوقوف على أغراض الاستعارة التي لم ترع اهتمام سيرل، ولم ير لها يدا في الكشف عن الاستعارة، في حين يرى مورغان أن محاولة رصد أغراض الاستعارة والوقوف على مقاصد المتكلمين في مختلف الاستعارات هي الطريق الممهد والسبيل الموصل لتفسير الاستعارة تفسيراً ينطلق من مقاصد المتكلم .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

أرسطوطاليس، فن الشعر، ترجمة وتحقيق عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953 .

جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين المجذوب، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م .

أبو العدوس، يوسف . الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأهلية للنشر، الأردن، 1997. عصفور، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3: المركز الثقافي العربي، بيروت ، 1993.

الهلالي، الحسن . الاستعارة عند سول، أشغال الندوة العلمية: البلاغي بين الإنتاج والتلقي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، 2019، من موقع: <http://search.mandumah.com/Record/1148254>

بلبع، عيد، الرؤية التداولية للاستعارة، علامات، مكناس، المغرب، ع 23، 2005، من موقع: <http://search.mandumah.com/Record/413422>

النعمان، طارق، الاستعارة صياغة مشكل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 77، 2010م من موقع: <http://search.mandumah.com/Record/473586>

References:

- Abū al-‘Adūs, Yūsuf. *Al-Isti‘ārah fī al-naqd al-adabī al-ḥadīth* (Metaphor in Modern Literary Criticism). al-Ahlīyah lil-Nashr, 1997 .
- Aristūṭālīs. *Fann al-shi‘r* (The Art of Poetry). Translated by ‘Abd al-Raḥmān Badawī, Maktabat al-Naḥḍah al-Miṣrīyah, 1953.
- Aristūṭālīs. *The Art of Rhetoric*. Translated by W. Rhys Roberts, Megaphone eBooks, 2008, www.wendelberger.com .
- ‘Aṣfūr, Jābir. *Al-Ṣūrah al-fannīyah fī al-turāth al-naqdī wa-al-balāghī ‘inda al-‘Arab* (The Artistic Image in the Critical and Rhetorical Heritage of the Arabs). 3rd ed., al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 1993.
- Balba‘, ‘Īd. "Al-Ru’yah al-tadāwulīyah lil-isti‘ārah" (The Pragmatic Vision of Metaphor). ‘Alāmāt, no. 23, 2005, [p//:search.mandumah.com/Record413422/](http://search.mandumah.com/Record413422/)
- Black, Max. "More about Metaphor." *Metaphor and Thought*, edited by Andrew Ortony, 2nd ed., Cambridge University Press, 1993, pp. 19-41.
- Crystal, David. *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. 6th ed., Blackwell Publishing, 2008.
- Al-Hilālī, al-Ḥasan. "Al-isti‘ārah ‘inda Sūrl" (Metaphor According to Searle). *Ashghāl al-nadwah al-‘ilmīyah: Al-Balāghī bayna al-intāḥ wa-al-talaqqī*, Sīdī Muḥammad ibn ‘Abd Allāh University, 2019, search.mandumah.com/Record/1148254 .
- Lakoff, George. "The Contemporary Theory of Metaphor." *Metaphor and Thought*, edited by Andrew Ortony, 2nd ed., Cambridge University Press, 1993, pp. 202-251.
- Moeschler, Jacques, and Anne Reboul. *Al-Qāmūs al-mawsū‘ī lil-tadāwulīyah* (Encyclopedic Dictionary of Pragmatics). Translated by ‘Izz al-Dīn al-Majdūb, Dār Sīnātrā al-Markaz al-Waṭanī lil-Tarjamah, 2010.

- Morgan, Jerry L. "Observations on the Pragmatics of Metaphor." *Metaphor and Thought*, edited by Andrew Ortony, Cambridge University Press, 1993, pp. 124-134 .
- Al-Nu'mān, Ṭāriq. "Al-Isti'ārah ṣiyāghat mushkil" (Metaphor as a Problem Formulation). *al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-Āmmah lil-Kitāb*, no. 77, 2010, search.mandumah.com/Record/473586.
- Reddy, Michael J. "A Semantic Approach to Metaphor." *Papers from the Fifth Regional Meeting [of the] Chicago Linguistic Society*, Chicago Linguistic Society, 1969, pp. 240-251.
- Searle, John R. *Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts*. Cambridge University Press, 1979.
- Searle, John R. "Metaphor." *Metaphor and Thought*, edited by Andrew Ortony, Cambridge University Press, 1993, pp. 83-111.